

المبادئ الأخلاقية الإسلامية في تقنية المعلومات وتطوير البرمجيات

د. أكرم محمد زكي

الجامعة الإسلامية العالمية
كوالالمبور ، ماليزيا
akramzeki@yahoo.com

أ.د محمد زكي خضر

الجامعة الأردنية
عمان ، الأردن
khedher@gmail.com

الملخص

هناك في العادة تعارض في مجال التقنية بين مصالح المؤسسات العاملة وبين المسؤوليات الأخلاقية تجاه المستفيدين. ومن هنا بذلت جهات كثيرة جهوداً لوضع بعض المعايير الأخلاقية والقواعد السلوكية لغرض رفع القيم الإنسانية ضمن عمل مؤسسات تقنية المعلومات. تستند الأخلاق في الإسلام أساساً على القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام. فالإسلام يدعو الفرد لمحاسبة نفسه وإخلاص النية في العمل والأمانة والتضحية، بالإضافة إلى العديد من الأخلاق التي تؤدي إلى الرقي بالسلوك في شتى المجالات بما فيها المجال الصناعي والتقني. وتتسم القواعد الأخلاقية الإسلامية بالتوافق التام بين ما يجب أن يكون من سلوك في المؤسسات الصناعية وبين الآراء الشخصية للأفراد في تلك المؤسسات بسبب وضوح القيم والمبادئ الأساسية الإسلامية. يهدف هذا البحث إلى وضع معايير وقواعد أولية للعاملين في مجال تقنية المعلومات منبثقة من القواعد الإسلامية العامة، ويمكن تقسيم هذه المعايير إلى عدة مواضيع منها: المبادئ الإسلامية في تقنية المعلومات، والمبادئ الإسلامية في هندسة وتطوير البرمجيات، والمبادئ الإسلامية المهنية للعاملين في مجال تقنية المعلومات، والمسؤوليات تجاه المستفيدين وصاحب العمل، والمسؤوليات تجاه الذات.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق والتقنية، القانون والأخلاق، الأخلاق في الإسلام، ميثاق الشرف الإسلامي

المقدمة

تعرف الأخلاق على أنها مجموعة من المبادئ والقيم التي تميز الصواب عن الخطأ، ويعتبر الدين هو أساس هذه الأخلاق حيث أن تطور الأخلاق على مر الزمن كان منبثقا من التعاليم الدينية. فنجد قوله عليه الصلاة والسلام: "أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً" (رواه الطبراني). من هنا جاء اهتمام المسلمين في الأخلاق لما لها من أثر بالغ على الحياة البشرية في الدنيا وفي الآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام: "ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة" (رواه الدارقطني).

في العادة تضع كل مؤسسة / منظمة / جمعية على عاتقها مجموعة من الأسس والقواعد الأخلاقية العامة لتحديد السلوك داخل المجموعة، وتوضح هذه القواعد تصرفات الفرد وسلوكه تجاه المجموعة والحدود المقبولة والممنوعة في المجتمع الذي يعيش فيه. وقد ظهرت على الساحة العديد من الدراسات في هذا الصدد (١،٢،٣)، وعلى هذا فإن الأخلاق تختلف عن القانون، فبالنسبة للقوانين فإن المحاكم هي التي تحدد ما يجوز وما لا يجوز، وتطبق القوانين على الجميع حتى إن وجدت حالات فردية لا تتوافق معها، لكنها تضطر للخضوع للقانون وتطبيقه. كما أن هناك إجراءات منتظمة من خلال المحاكم لتحديد القانون الذي يسري في حال تعارض أحد القوانين مع الآخر. من وجهة النظر القانونية، كل ما لم يعرف انه خطأ (غير مشروع) فهو صواب (مشروع). وأخيراً فإن القوانين يمكن أن تنفذ وهناك طرق لتصحيح الأخطاء فيها. (٤)

الأخلاق في القيم الغربية

بنيت الكثير من القوانين الغربية على أسس إقتصادية (انبثقت هذه الأخلاقيات من الخلفية اليونانية والرومانية) ولهذا تكثر الخلافات في وجهات النظر بين المنظرين والرأسماليين، كما أنها تعتبر قوانين علمانية لا تؤمن بقدره الدين على حل مشكلات العصر، وتعتبر المعرفة فيها عبارة عن سلعة قابلة للبيع، بالإضافة لذلك فإن القوانين المستندة إلى الفكر الرأسمالي تعطي صلاحيات عديدة للشركات على حساب الأفراد، وكثيراً ما تحدث هنا خلافات بين مصالح المؤسسة والمصالح الشخصية. لذلك فإن جميع هذه القوانين قد تتغير مع الزمن (بناءً على بعض الضوابط). وقد تحتاج القوانين إلى عقود من الزمن لتصل إلى الحد المقبول (حقوق الإنسان كمثال). أخيراً فإن الجودة في القيم الغربية مهمة لزيادة المبيعات (الجودة تعبر عن معايير وضوابط الإنتاج)، فالحرص على الإنتاج بدقة عالية يهدف إلى زيادة المبيعات والأرباح. كما أن عدم ورود نصوص عن بعض المعايير يُسمح بالإنتاج دونها وإن كان الناتج ذا جودة منخفضة. أخيراً يجب الإشارة إلى أن هناك الكثير من السلوكيات والقواعد الغربية هي سلوكيات أخلاقية قيمة، بل هناك الكثير من الحالات التي تتوافق النظريات الغربية مع الأخلاق الإسلامية.

الأخلاق في الإسلام

ورد بين المصطلحات الإسلامية المذكورة في القرآن ذات العلاقة بالأخلاق مجموعة متعددة من المصطلحات تشمل: الخلق، الصالحات، الخير، البر، القسط، العدل، المعروف، الأمانة، التقوى. تستند الأخلاق في الإسلام على أسس القرآن الكريم كما أن التطبيق العملي لهذه الأخلاق يتمثل في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسنته وكذلك أصحابه من بعده في فهم وتنفيذ تعاليمه (يعتبر المسلمون أن الحياة المثالية طبقت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الأربعة من بعده). بالإضافة لذلك فإن الاعتقاد بالآيمان بالله واليوم الآخر يعتبر حلاً مثاليًا لاستقامة الأخلاق، حيث أن وجود يوم للحساب يجد فيه المرء عمله حاضرًا، يؤدي ذلك إلى الاستعداد له من خلال العمل الصالح وحسن الخلق. كذلك فإن ما يدعو إليه الإسلام من المحاسبة الذاتية للفرد، إخلاص النية في العمل، الأمانة والتضحية، بالإضافة إلى العديد من الأخلاق تؤدي إلى الرقي بالسلوك في شتى المجالات بما فيها المجال الصناعي والتقني. في القواعد الأخلاقية الإسلامية هناك توافق بين آراء المؤسسات الصناعية والآراء الشخصية بسبب وضوح القيم والمبادئ الأساسية الإسلامية حيث أن القائمين على مثل هذه المؤسسات ملزمون بالأسس نفسها التي يجب أن يلتزم بها الأفراد، كما أن الاجتهاد (الذي يحث عليه الإسلام) يمكن أن يكون أساسًا لأغراض إيجاد حلول جديدة للمشاكل الحديثة التي لم يسبق أن صادفتها البشرية من قبل، بحيث تكون هذه الحلول قائمة على مبادئ إسلامية. كما يمكن في الإسلام تغيير الأحكام ضمن ضوابط معينة بناءً على الأعراف السائدة في بعض المجتمعات واستنادًا إلى تغير الظروف. ويجب التنبيه هنا خاصة لغير المسلمين إلى أن العادات المحلية والسلوك في بعض البلاد الإسلامية في كثير من الأحيان لا تمثل مبادئ الإسلام وتعاليمه في كثير من الجوانب. وعلى ذلك فإن واجب علماء الدين تبيان القواعد الإسلامية العامة المشروعة وغير المشروعة بشكل عام (٥).

لماذا المقارنة ؟

حيث أن الكثير من المسلمين اليوم هم من مستخدمي تقنية المعلومات، وحيث أن الكثير من هذه التقنيات تطور في الغرب فإن معرفة وجهات النظر الغربية في أخلاقيات تقنية المعلومات مهمة بالنسبة للمسلمين. وفي العديد من تطبيقات تقنية المعلومات، قد تعكس المقارنة أمثلة لمجالات أوسع في الحياة الاجتماعية. ويظهر واضحاً بأن استيراد التقنية قد يرافقه العديد من الأخلاقيات غير المناسبة للمجتمعات الإسلامية، وتكييف التقنية في البلاد الإسلامية قد يرافقه صراع بين الأخلاقيات القادمة معها والقيم المحلية.

لا شك أن الإسلام كان له أثر كبير على السلوك وحياة المسلمين، فالإسلام يمثل ظاهرة فريدة ليس فقط كتعاليم روحية بل إنه سلوك وقيم وأخلاق وعلاقات تشكل جميع جوانب حياة المسلمين. كما أن المبادئ الإسلامية رغم إهمال استخدامها في كثير من المجتمعات الإسلامية إلا أنها ذات قيم سامية رفيعة تستحق الدراسة والبحث للوصول إلى حل للعديد من المشكلات الأخلاقية في العالم الحاضر.

الأخلاق في تقنية المعلومات

هناك العديد من القضايا الأخلاقية لتكنولوجيا المعلومات التي تهم جميع المستخدمين ومنها: أمن المعلومات، حيث أن هناك الكثير من المعلومات التي تصنف على أنها سرية أو خاصة، كبيانات المستخدمين مثل عناوينهم وأرقام بطاقات الإئتمان البنكي أو بيانات الموظفين على سبيل المثال كالمرتبات والحضور وتقييم الأداء والسجل الصحي (٦). كما أن هناك معلومات خاصة بالشركات وسير عملها ونسبة المبيعات وخطط الترويج والبحث والتطوير (والتي لا ترغب هذه الشركات وقوعها في أيدي المنافسين). ومن القضايا الأخلاقية أيضا الخصوصية والتي تعني بسلامة البيانات وضمان أن لا يتم تعديل البيانات والبرامج من غير السلطة المختصة. ومن التقنيات التي بحاجة إلى أسس أخلاقية أيضاً: التعليم الإلكتروني، والتجارة الإلكترونية، والبريد الإلكتروني، وصناعة البرمجيات (٧) (٨).

ظهر مؤخراً العديد من الجهات التي قدمت ضوابط أخلاقية تعنى بتقنية المعلومات، ومن الأمثلة المتوفرة على الساحة العالمية ميثاق الشرف الخاص بمنظمة أي سي إم ACM Code ويمكن تلخيص أهم ما جاء فيه بما يلي (١): المساهمة في المجتمع والحياة الإنسانية، تجنب أذى الآخرين، الصدق والوثوقية، العدل والمساواة، حقوق الملكية الفكرية وحقوق التأليف والنشر وبراءات الاختراع، احترام خصوصية الآخرين، المحافظة على سرية المعلومات وأمنها. ومن الموثيق الأخرى رابطة محترفي تكنولوجيا المعلومات AITP (٢). بالإضافة إلى معهد مهندسي الكهرباء والإلكترونيات IEEE (٩). كذلك معهد إدارة المشاريع التابع للصليب الأحمر.

ميثاق الشرف الإسلامي

يهدف هذا القسم إلى وضع معايير وأسس وقواعد أولية عامة للعاملين في مجال تقنية المعلومات منبثقة من القواعد الإسلامية العامة، لا شك أن القواعد الإسلامية العامة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ضمن أخلاقيات تقنية المعلومات، ومن هذه القواعد يمكن استنباط معايير خاصة لتقنية المعلومات قابلة للتطبيق وقابلة للتطوير واكتساب قيم إسلامية جديدة باستمرار. توضع هذه المعايير عن طريق لجان من الخبراء وتحكم بواسطة متخصصين، ويجب أن تشمل هذه المعايير جميع مواضيع تقنية المعلومات بما فيها عملية التطوير والإنتاج، وأن لا تغفل عن تقدير الصناعات ذات التقنية العالية (المحترفة).

يمكن تقسيم هذه المعايير إلى مجموعتين هما: المبادئ الإسلامية في تقنية المعلومات وتطوير البرمجيات، والمبادئ الإسلامية المهنية للعاملين في مجال تقنية المعلومات. يحوي كل من القسمين على مجموعة من المواضيع المنبثقة من المبادئ الأخلاقية الإسلامية مع التأصيل اللازم لكل منها. يركز هذا البحث على الجانب الأول من ميثاق الشرف الإسلامي الا وهو المبادئ الإسلامية في تقنية المعلومات وتطوير البرمجيات.

المبادئ الإسلامية في تقنية المعلومات وتطوير البرمجيات

إتقان العمل: كفل الإسلام لكل ذي حق حقه، وعدّ اتقان العمل من الأمور التي يحبها الله تعالى لعبده، ويدخل في ذلك ضمان الجودة في صناعة البرمجيات فالجودة تعد جزءاً من "العبادة". فالموظف والمبرمج والعامل في تقنية المعلومات مطالب باحترام معايير الجودة الموضوعية لعمله، ويتحمل المسؤولية في تطبيق نظام الجودة، فهو معرض للمساءلة في حالة الإهمال، إن لم يكن في الدنيا فالحساب في الآخرة.

" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (السلسلة الصحيحة للألباني)

المصلحة العامة: مصلحة المجتمع تأتي في المقام الأول، لذلك ينبغي على المؤسسات العاملة في مجال التقنية احترام المجتمع والمحافظة على القيم وإيلاء الاهتمام بالجمهور ومصلحته وسلامته قبل مصلحة المؤسسة. فيجب نصح الزبائن بما يوافق مصلحتهم حتى إن كان ذلك ضد أرباح المؤسسة. ويدخل في إطار ذلك أيضاً الاهتمام بالمحافظة على البيئة فهي ملك الجميع. فالمجتمع كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

"يُتَحَمَلُ الضَّرَرُ الْخَاصُّ لِدَفْعِ الضَّرَرِ الْعَامِ" (قاعدة فقهية)

(شرح القواعد الفقهية - أحمد محمد الزرقا - دار القلم - دمشق ٢٠٠١)

التنوع الثقافي: احترام الاختلافات بين الجنس البشري وتنوع الثقافات والتقاليد واللغات والعادات المحلية ينبغي أن يتم مراعاته في تطبيقات تقنية المعلومات ويجب ان لا يكون هناك تفرقة على أي من هذه الاعتبارات. حيث نجد الآن الكثير من المنتجات الغربية، وتحت مسمى العولمة، تفرض القيم والعادات الغربية على دول أخرى بشكل مباشر أو غير مباشر لاعتقادها بأن القيم الغربية هي المناسبة فقط. بينما يثبت الله تعالى حقيقة اختلاف البشر:

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (سورة هود: ١١٨ - ١١٩)

الخصوصية: مراعاة خصوصية الآخرين واحترام حقوقهم في كافة المجالات، وكذلك من الأخلاقيات في مجال تقنية المعلومات أن تصان ملكية الآخرين للبيانات والمعلومات الإلكترونية، فلا يجوز استخدام البرامج دون ترخيص واذن مسبق من صاحبها، ولا يجوز للشركات بيع بيانات مستخدميها كالعناوين والبريد الإلكتروني والتجارة بمعلوماتهم الخاصة إلا بإذنتهم.

"لا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه" (رواه أحمد)

وضوح الهدف: بينما يملك كل شخص هدفاً يرغب بتحقيقه، كذلك المؤسسات والشركات لديها أهدافها، إلا أن الهدف الأساسي من وجودنا في هذه الأرض يجب أن يكون معلناً ويرتفع على جميع الأهداف الأخرى. فحسن العمل هدف سام:

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (سورة الكهف: ٧)

الاعتدال بالإنفاق: تتخذ كل مؤسسة منهجاً معيناً للإنفاق موزعاً على المرتبات والإعلانات والبحث والتطوير وغيرها من الأقسام والفروع داخل كل مؤسسة وتختلف هذه المعدلات من مؤسسة إلى أخرى، وبينما يندر وجود من يسرف في الإنفاق إلا أن معظمها يغلب عليها الاقتصاد خاصة في أجور العاملين فيها. فالمسار الوسط هو الأفضل:

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (سورة الإسراء: ٢٩)

لا ضرر ولا ضرار: لا يجوز التسبب في إضرار الآخرين وإنتاج برامج وملفات ضارة أو نشرها كالفايروسات وبرامج التجسس والقرصنة، كما لا يجوز فك الشفرات الخاصة بالبرامج واستخدام أجهزة الغير أو ذاكرات أجهزة أخرى كما تفعل بعض الجهات اليوم مما يسبب بطلاً في الأجهزة وغيرها من الأضرار.

" لا ضرر ولا ضرار " (رواه ابن ماجة)

هدف البرنامج: ويضاف للضرر المذكور أعلاه، إنتاج البرامج لأغراض غير شرعية ومحرمة في الإسلام، فيجب ان يكون هدف إنتاج البرنامج في الأصل حلالاً. فعلى سبيل المثال البرمجيات المستخدمة لخدمة القمار، أو في إنتاج النبيذ، واختراق الأنظمة وأرصدة البنوك.

" ما حَرَّمَ فعله حُرِّم طلبه " (قاعدة فقهية)

(شرح القواعد الفقهية - أحمد محمد الزرقا - دار القلم - دمشق ٢٠٠١)

المواقع الإباحية: ومن الأضرار أيضاً المواقع والبرامج الإباحية، وما يتعلق بها من نشر الصور وملفات الفيديو أو إنتاجها، فكل ذلك محرم لأنه من مقدمات الرذيلة والفاحشة.

(وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (سورة الإسراء: ٣٢)

احترام الآخرين: وينطوي تحت ذلك أيضاً إنتاج البرامج وتصميم المواقع المسيئة إلى ديانة أو ثقافة أو مجتمع أو بلد معين، فلا يجوز الاستهزاء بالآخرين ومعتقداتهم ويجب احترامها بكافة اشكالها.

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (سورة الأنعام: ١٠٨)

البرامج المفتوحة: لا شك ان استخدام وانتاج البرامج المفتوحة "Open Source" هي أقرب إلى القيم الإسلامية من الأنظمة المحمية. ويجب التشجيع على انتاج مثل هذه الأنظمة وإيجاد التمويل اللازم لها والتي تعتبر أنظمة خيرية وصدقة جارية. رغم أن الأنظمة المفتوحة لن تحل محل الأنظمة المحمية بأي حال من الأحوال، لكنها ستساعد بلا شك الجمهور على استخدام البرامج الأساسية دون انتهاك لملكية الآخرين. كما ينبثق تحت هذه القاعدة الرغبة بمساعدة الآخرين ونشر العلم.

"من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" (رواه ابن حبان والحاكم)

الختام

يضع هذا البحث معايير أولية منبثقة من المبادئ الإسلامية العامة في عدة مواضيع تتعلق بتقنية المعلومات بحيث تكون قابلة للتطبيق والتطوير وتشمل جميع مواضيع تقنية المعلومات بما فيها عملية التطوير والإنتاج. كما يلخص البحث أهم القضايا غير الأخلاقية في مجال تقنية المعلومات كالاستخدام غير الملائم لموارد التقنية وبيع عناوين البريد الإلكتروني وعناوين الزبائن إلى جهات أخرى والاستخدام غير المشروع لأجهزة الغير واستخدام البرامج دون ترخيص ونسخها بشكل غير قانوني. كما أن هناك العديد من المواضيع التي لا تزال بحاجة إلى دراسة من قبل المختصين بتقنية المعلومات مع مشاورة مستمرة لعلماء الشرع كحكم العقود الإلكترونية، الصكوك البنكية الإلكترونية، إثبات الملكية الخاصة، التزوير الإلكتروني، حل النزاعات المتعلقة بتقنية المعلومات، ووضع الأحكام المتعلقة بذلك وتقنينها لتصبح جزءاً لا يتجزأ من القوانين والأنظمة، وغير ذلك مثل مسؤولية الأخطاء الناتجة عن أجهزة الحاسب، مسؤولية الضرر الناتج، وغيرها من المواضيع الحديثة التي تحتاج إلى بحث ودراسة.

1. ACM Code of Ethics and Professional Conduct <http://www.acm.org/constitution/code.html>
2. <http://www.aitp.org/join/SCOH17CodeEthicsStdsCdt.pdf> aitp code of ethics
3. Wright, D., "A framework for the ethical impact assessment of information technology", Journal of Ethics and Information Technology, Volume 13, 2010.
4. Michael E. Whitman, Herbert J. Mattord "Readings & Cases in Information Security: Law & Ethics", Course Technology; 001 edition (June 23, 2010)
5. Mohammed Zeki Khedher, Importance of Indigenous Software Development in Muslim Countries, International Conference on Information Systems and Islam, 5-7 Nov. 2001, Kuala Lumpur
6. Skorupinski, B., & Ott, K. (2002). Technology assessment and ethics. Poiesis & Praxis, 1, 95-122.
7. Mohammed Zeki Khedher, Ethics of Transfer of Technology, Conference of Union of Islamic countries Engineering Organization, Amman, 22-26/8/2004.
8. Shihab A. Hameed, Strategy and Policy Statements on Green ICT: An Islamic Perspective, IIUM Engineering Journal: Special Issue on Science and Ethics in Engineering Vo1. 12 (5), 2011.
9. IEEE code of ethics, 2006. http://www.ieee.org/portal/cms_docs/about/CoE_poster.pdf